مختارات شعرية
من المعلَّقات السبع

محمد بن علي بن جميل المطري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مختارات شعرية

من المعلَّقات السبع

اختارها وهذَّب شرحها

محمد بن علي بن جميل المطري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

فمن أشهر القصائد الشعرية عند العرب المعلَّقات السبع، وذكر بعضهم أنها سميت المعلقات لأنها عُلِّقت في الجاهلية علىٰ الكعبة، ولا يثبت ذلك، والأقرب أنها سُمِّيت معلقات لأن العرب تعلَّقوا بها حبًا أو لأنها لحسنها تُشبِه القلائد التي تُعلَّق علىٰ أعناق النساء، والله أعلم، وهذه مختارات من المعلقات السبع، مع شرح مختصر مفيد، وهي كالمدخل لتعلم الشعر، والاستفادة منه، فقد قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: ((إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً))، رواه البخاري في صحيحه من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه، والله الموفق.

المختار من معلقة امرؤ القيس بن حجر

امرؤ القيس بن حِجر بن الحارث الكِندي، أشهر شعراء العرب علىٰ الإطلاق، أصله يماني، وكان أبوه ملك قبيلتي أسد وغطَفان في نجد، وقد سخط عليه وأبعده إلىٰ حضرموت موطن آبائه وعشيرته، وحين ثار بنو أسد علىٰ أبيه وقتلوه، قال: رحم الله أبي! ضيعني صغيرًا، وحمَّلني دمَه كبيرًا، فلم يزل يسعىٰ في طلب الثأر لأبيه من بني أسد، وسافر إلىٰ قيصر الروم في القسطنطينية، فوعده وماطله، ثم ولاه إمرة فلسطين، فرحل يريدها، فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح، ومات في أنقرة قبل بعثة النبي محمد صلىٰ الله عليه وسلم بنحو سبعين سنة.

قال امرؤ القيس الكِندي في معلقته:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَىٰ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوْضِحَ فَالـمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

السِّقْط: المراد هنا: منقطع الرمل حيث يَستدق من طرفه. واللِّوىٰ: رملٌ يعوج ويلتوي، يقول: قفا وأعيناني علىٰ البكاء عند تذكري حبيبًا فارقته ومنزلًا خرجت منه، وذلك المنزل بين تلك الأماكن الأربعة المسماة: الدَّخول وحَومل وتُوضِح والمِقراة، لم تذهب آثار المنزل بسبب اختلاف الرياح الجنوبية والشمالية عليه، فلا تزال آثار المنزل بادية لم تسترها الرمال؛ لأن الرياح إذا تسببت في تغطية شيء من الآثار بالرمال، جاءت الريحُ المقابلة فأثارت الرمال وكشفت الآثار.

وُقُوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمُ ... يَقُوْلُوْنَ لاَ تَهْلِكْ أَسًىً وَتَجَمَّلِ

المَطي: المراكب، واحدتها مطية كالناقة، يقول: قد وقف أصحابي عليَّ وأنا قاعد، يأمروني بالصبر، يقولون لي: لا تهلِك من فرط الحزن وشدة الجزع وتجمل بالصبر.

فَفَاضَتْ دُمُوْعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلَىٰ النَّحْرِ حَتَّىٰ بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي

الصبابة: رقة الشوق. المِحمَل: حِمالة السيف، وهو حبل من جلد يُحمل به السيف من المنكِب. يقول: فسالت دموع عيني من شدة حنيني وشوقي للأحبة حتىٰ بلّ دمعي حِمالةَ سيفي.

أفاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ ... وإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ... وأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ

التدلل: أن يثق الإنسان بحب غيره له. أزمع: صمّم. الصرم: الهجر. الإجمال: الإحسان. يقول: يا فاطمة دعي بعض دلالك، وإن كنت وطّنت نفسك علىٰ فراقي فأحسني في الهجران. هل غرك مني أن حبك قاتلي، وأن قلبي مُنقادًا لك فمهما أمرتِه بشيء فعله؟!

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَىٰ سُدُوْلَهُ ... عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلِي

ألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألاَ انْجَلِي ... بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنكَ بِأَمْثَلِ

السدول: الستور. الانجلاء: الانكشاف. الأمثل: الأفضل، يقول: ورُبّ ليلٍ مثلُ أمواج البحر في شدته ونكارة أمره، قد أرخىٰ عليّ ستورَ ظلامه مع أنواع الهموم، ليختبرني أأصبر علىٰ الشدائد أم أجزع منها. قلت له: ألا أيها الليل الطويل انكشف بصبح، وليس الصبح بأفضلَ منك عندي؛ لأني أقاسي الهموم نهارًا كما أقاسيها ليلًا.

وَقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا ... كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

أغتدي: أخرج غدوة. والطير في وُكُناتِها أي: والطير ساكنة في مواضعها التي تبيت فيها لم تطر. المنجرِد: الفرس السريع، الأوابد: الوحوش. قيد الأوابد: شبه فرسه لسرعة إدراكه الصيد كالقيد لها؛ لأنها لا يمكنها الهرب منه. الهيكل: الفرس

الضخم. يقول: وقد أغتدي فجرًا والطير ما زالت مستقرة في مساكنها علىٰ فرس سريع، يقيّد الوحوش بسرعة لحاقه إياها، يمدح نفسه بأنه ربما باكر الصيد قبل نهوض الطير من أوكارها علىٰ فرس هذه صفته. مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ معا: أي يصلح للكر والفر، إذا أقبل فهو حسن الإقبال، وإن أدبر فهو حسن الإدبار، الجلمود الصخرة الملساء. الحَطّ: إلقاء الشيء من علو إلىٰ سفل. يعني أن الكر والفر والإقبال والإدبار مجتمعة في قوته، وشبه فرسه في سرعته وقوته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عالٍ.

يُـزِلُّ الغُـلاَمَ الخِفَّ عَنْ صَـهَوَاتِهِ ... وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيْفِ المُثَقَّلِ

الْخِفّ: الخفيف. الصهوة: مقعد الفارس من ظهر الفرس، ألوىٰ بالشيء: رمىٰ به. يقول: إن هذا الفرس لشدة سرعته يُزلِق الغلامَ الخفيف عن ظهره، ويرمي بثياب الرجل العنيف الثقيل.

فهذه أحد عشر بيتًا من معلقة امرئ القيس، هي من أحسن ما فيها، لمن أراد حفظها أو دراستها وتدريسها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَىٰ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُـوْضِحَ فَالـمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

وُقُوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمُ ... يَقُوْلُوْنَ لاَ تَهْلِكْ أَسَىً وَتَجَمَّلِ

فَفَاضَتْ دُمُوْعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلَىٰ النَّحْرِ حَتَّىٰ بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي

أفاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ ... وإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

أَغَـرَّكِ مِـنِّي أَنَّ حُـبَّكِ قَاتِـلِي ... وأَنَّـكِ مَـهْـمَا تَأْمُـرِي القَلْـبَ يَفْعَلِ

ولَيْلٍ كَـمَـوْجِ البَحْـرِ أَرْخَىٰ سُـدُوْلَهُ ... عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الـهُـمُوْمِ لِيَبْتَلِي

ألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّـوِيْلُ ألاَ انْجَلِي ... بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنكَ بِأَمْثَلِ

وَقَدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا ... كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

يُـزِلُّ الغُـلاَمَ الخِفَّ عَنْ صَـهَوَاتِهِ ... وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيْفِ المُثَقَّلِ

المختار من معلقة طَرَفة بن العبد

طرفة بن العبد البكري الوائلي، شاعر جاهلي، تنقل في بقاع نجد، واتصل بالملك عمرو بن هند، فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلىٰ عامله علىٰ البحرين وعُمان أوهمه فيه أنه أمر له بجائزة، وكان في الكتاب الأمر بقتله، فقتله عامل البحرين وهو ابن عشرين عاما، قبل البعثة النبوية بنحو خمسين سنة.

قال طرَفَة بن العبد البكري في معلقته:

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ ببُرقَةِ ثَهْمَدِ ... تَلوحُ كباقي الوَشْمِ في ظاهر اليَدِ

خولة: اسم امرأة، وكانت عادة شعراء العرب افتتاح قصائدهم بذكر امرأة معلومة أو مجهولة، وهو الغالب، الطلل: ما ظهر وارتفع من رسوم الدار، والجمع أطلال. البُرقة: مكان اختلط ترابه بحجارة أو حصىٰ. ثهمَد: اسم موضع. تلوح: تلمع. الوشم: غرز ظاهر الجلد بإبرة وحشو المغارز بالكحل ونحوه، وقد لعن النبي صلىٰ الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة، فالواشمة هي التي تشم يد غيرها، والمستوشمة هي التي يُفعل بها ذلك. يقول: لخولة أطلال ديار بالموضع المسمىٰ ثهمد الذي يخالط أرضه حجارة، فتلمع تلك الأطلال لمعان بقايا الوشم في ظاهر الكف.

وُقُوْفـًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلَّدِ

التجلد: تكلّف التصبر. يقول: قد وقفوا علىٰ رأسي وأنا قاعد، يأمروني بالصبر، يقولون لي: لا تهلِك من فرط الحزن وشدة الجزع وتجمل بتكلف الصبر، وهذا البيت استفاده الشاعر طرفة بن العبد من قصيدة امرئ القيس، فالبيتان متفقان إلا في الكلمة الأخيرة، ففي بيت امرئ القيس: وتجمل، وقصيدته لامية، وفي بيت طرفة: وتجلد، وقصيدته دالية.

إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَىً خِلْتُ أَنَّنِي ... عُنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

خلت: ظننت. عُنِيت: أي: قُصِدت بهذا الكلام. الكسل: التثاقل عن الأمر. والبلادة ضد الذكاء. يقول: إذا القوم قالوا: من فتىٰ يكفنا مُهِمًّا أو يدفع عنا شرًّا؟ ظننت أنني المراد بقولهم، فلم أكسل في كفاية الأمر المهم، ولم أتهرب من القيام بما يُطلب مني.

أَرَىٰ العَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَمَا تَنْقُصُ الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ

شبَّه عمر الإنسان بكنز ينقص كل ليلة، وما تنقصه الأيام والدهر ينفد لا محالة.

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَىٰ أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَىٰ المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

الظلم: أخذ الإنسان ما ليس له، ووضع الشيء في غير موضعه، المضاضة: الحرقة والألم. الحُسام: السيف القاطع. المهند: السيف المصنوع من حديد الهند، يقول: الظلم الآتي من جهة الأقارب أشد تأثيرًا في تهييج الحزن من وقع السيف القاطع؛ لأن الأقارب عون الإنسان علىٰ الشدائد، فإذا ظلموه فالأمر شديد؟!

فَإِنْ مُتُّ فَانْعِيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ ... وشُقِّي عَلَيَّ الجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ

النعي: إشاعة خبر الموت. الجيب من القميص ونحوه: ما يُدخل منه الرأس عند لبسه. يوصي ابنة أخيه بالثناء والبكاء عليه بعد موته، يقول: إذا مت فأشيعي خبر موتي، وعددي أفعالي التي أستحق بها الثناء، وشقي جيب ثوبك حزنًا علىٰ موتي، وهذا من أفعال الجاهلية التي نهىٰ عنها الإسلام، والمشروع الصبر عند موت الأحبة، وترك الصراخ وشق الثياب ونحو ذلك من أفعال الجاهلية.

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ... وَيَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

أي: ستُظهر لك الأيام ما لم تكن تعلمه من الحقائق، وستأتيك الأخبار من غير أن تُكلِّف نفسك البحث والسؤال عنها، فيأتيك بها من لم ترسله ليبحث عنها.

وقد ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت يقول: (ويأتيك بالأخبار من لم تزود) رواه الترمذي وصححه.

فهذه سبعة أبيات من معلقة طرفة بن العبد، هي من أحسن ما فيها:

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ ببُرقَةِ ثَهْمَدِ ... تَلوحُ كباقي الوَشْمِ في ظاهر اليَدِ

وُقُوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلَّدِ

إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتىً خِلْتُ أَنَّنِي ... عُنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

أَرَىٰ العَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَمَا تَنْقُصُ الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَىٰ أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَىٰ المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

فَإِنْ مُتُّ فَانْعِيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ ... وشُقِّي عَلَيَّ الجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ... وَيَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

المختار من معلقة عنترة بن شداد

عنترة بن شداد العبسي، من أشهر فرسان العرب في الجاهلية، من أهل نجد، كانت أمه حبشية، وكان شديد السواد، وفي شعره رقةٌ وعذوبة، وتسمىٰ معلقته الذهبية، توفي قبل البعثة النبوية بنحو عشر سنوات.

قال عنترة بن شداد العبسي في معلقته:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ منْ مُتَرَدَّمِ ... أم هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ

غادر: ترك. المُتردَّم: الموضع الذي يُستصلح لما اعتراه من الوهن. يقول: هل ترك الشعراء شيئًا إلا وقد قالوا فيه، يعني: سبقني الشعراء بالشعر، ولم يتركوا لي مستصلحًا أُصلحه، ثم قال مخاطبًا لنفسه: هل عرفت الدار بعد شكك فيها؟

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمِي ... وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عبْلَةَ واسلَمِي

عبلة: هي ابنة عم عنترة، وهي زوجته فيما قيل. الدار: البيت المسكون، ومنزل القوم في الصحراء ونحوها، وتطلق الدار علىٰ البلد والقبيلة. الجواء: اسم موضع في نجد. تكلمي: أخبري عن أهلك وسكانك. عِمْ صباحًا: تحية كانت مشهورة عند العرب، يقولون: عِم صباحا، أي: طاب عيشك في صباحك. اسلمي: دعاء لها بطول السلامة من الآفات. يقول: يا دار عبلة الكائنة في هذا الموضع المسمىٰ الجواء أخبريني عن سكانك ماذا حصل لهم؟ وطاب عيشك في صباحك يا دار عبلة، وسلمك الله من الآفات.

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فإِنَّنِي ... سَمْحٌ مُخَالقَتي إِذَا لم أُظْلَمِ

وإِذَا ظُلِمْتُ فإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ ... مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعمِ العَلْقَمِ

الباسل: الكريه. العلقم: الحنظل: يقول لزوجته: أثني عليَّ بما علمتِ من صفاتي الطيبة، فإني سهل المخالطة والمخالقة إذا لم يظلمني أحد، ومن ظلمني عاقبته عقابًا شديدًا يكرهه كما يكره طعم الحنظل من ذاقه.

في حَوْمَةِ الحَرْبِ التي لا تَشْتَكِي ... غَمَرَاتِها الأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ

حومة الحرب: معظمها حيث تدور الحرب. غمرات الحرب: شدائدها. التغمغم: صوت لا يفهم منه شيء. يقول: في حومة الحرب التي لا تشكوها الشجعان إلا بصوت خافت يُسمع، ولا يفهم منه شيء.

ولقَدْ شَفَىٰ نَفْسي وَأَذهَبَ سُقْمَهَا ... قِيْلُ الفَوارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ

السُّقم: المرض. ويك: معناها هنا: ويلك، فأسقط اللام، وتأتي ويك أحيانًا بمعنىٰ: ألم تر. يقول: ولقد شفىٰ نفسي وأذهب ما فيها من الغم قول الفوارس لي: ويلك يا عنترة أقدم نحو العدو.

ومُدَجِّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ ... لامُمْعِنٍ هَرَبًا ولا مُسْتَسْلِمِ

المدجَّج والمدجِّج بكسر الجيم وفتحها: تام السلاح الذي قد توارىٰ بالدرع والسلاح الكامل، الكماة: الشجعان. نِزاله: منازلته في ميدان الحرب. ممعِن: من الإمعان، وهو الإسراع في الشيء. مستسلم: متذلل منقاد. يقول: ورُبَّ بطلٍ تامِّ السلاح كان الشجعان يكرهون قتاله لفرط شجاعته، وشدة بأسه، لا يهرب أبدًا ولا يستسلم.

لمَّا رَآنِي قَدْ نَزَلتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَىٰ نَواجِذَهُ لِغَيرِ تَبَسُّمِ

أبدىٰ: أظهر. النواجذ: جمع ناجذ، وهو آخر الأضراس، يقول: لما رآني المقاتل الشجاع قد نزلت عن فرسي أريد قتله كلح في وجهي، فبدت أضراسه بلا تبسم، وعزم علىٰ قتلي.

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ ... ليسَ الكَريمُ علىٰ القَنا بِمُحَرَّمِ

شككت: انتظمت، الأصم: الصلب. الكريم: الرجل السيد الفاضل. القنا: الرماح، مفردها: قناة، يقول: طعنته وانتظمت برمحي الصلب ثيابه، وقد يكون المراد بالثياب هنا: درعه، ليس الكريم محرَّمًا علىٰ الرماح، فكرمه لا يمنعه من القتل.

فتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ ... يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنانِهِ والمِعْصَمِ

الجزور ما يصلح للنحر من الإبل، وجزَرَ السِّباع: اللحم الذي تأكله الوحوش. النَّوْشُ: التناول. القضم: الأكل بمقدَّم الأسنان. البَنان: الأصابع. المِعصم: موضع السِّوار من الساعد. يقول: فصيرته طعمة للسباع تأكل أصابعه الجميلة ومعصمه الحسن.

وحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا ... تَمكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ

الحليل: الزوج، والحليلة الزوجة. الغانية: المرأة المستغنية بجمالها عن الزينة. مجدَّلًا: مصروعًا علىٰ الأرض. تمكو: تَصْفِرُ، والمكاء: الصفير. الفريصة: لحمة في وسط الجنب بين الكتف والثدي تُرعَد عند الفزع، وهما فريصتان، والجمع فرائص. الشدق: جانب الفم. الأعلم: الجمل، وكل بعير أعلم أي: مشفره الأعلىٰ مشقوق. يقول: ورُبَّ زوج امرأةٍ بارعةِ الجمال قتلتُه وألقيتُه علىٰ الأرض، وكانت فريصتُه يُسمَعُ لها صفيرٌ لانصباب الدم منها، كأن هذه الطعنة في سعتها فمُ الجمل.

هَلَّا سأَلْتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِكٍ ... إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمَا لَم تَعْلَمِي

الخيل: المراد أصحاب الخيل، وابنة مالك: هي عبلة ابنة عمه التي قيل: إنها زوجته. يقول: هلا سألت الفرسان عن شجاعتي في الحروب إن كنت تجهلين ذلك.

ولقَدْ خَشَيْتُ بِأَنْ أَمُوتَ ولَم تَدُرْ ... للحَرْبِ دَائِرَةٌ علىٰ ابْنَي ضَمْضَمِ

الدائرة: الهزيمة والمصيبة والمكروه. يقول: ولقد أخاف أن أموت ولم تدُر الحربُ علىٰ حصين وهرم ابني ضمضم.

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أَشْتُمْهُمَا ... والنَّاذِرَينِ إِذَا لَقِيتُهُما دَمِي

يقول: اللذان يشتمان عرضي ولم أشتمهما أنا، والموجبان علىٰ أنفسهما سفك دمي إذا لقيتهما.

إِنْ يَفعَلاَ فَلَقَد تَرَكْتُ أَباهما ... جَزَرَ السِّباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

القشعم الكبير من النسور. يقول: لا يُستغرب منهما إن نذرا دمي؛ فقد قتلت أباهما، وتركته في الأرض مأكولًا للوحوش وللنسور الكبيرة.

فهذه خمسة عشر بيتًا من معلقة عنترة بن شداد، هي من أحسن ما فيها:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ منْ مُتَرَدَّمِ ... أم هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمِي ... وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عبْلَةَ واسلَمِي

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فإِنَّنِي ... سَمْحٌ مُخَالقَتي إِذَا لم أُظْلَمِ

وإِذَا ظُلِمْتُ فإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ ... مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعمِ العَلْقَمِ

في حَوْمَةِ الحَرْبِ التي لا تَشْتَكِي ... غَمَرَاتِها الأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ

ولقَدْ شَفَىٰ نَفْسي وَأَذهَبَ سُقْمَهَا ... قِيْلُ الفَوارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ

ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ ... لامُمْعِنٍ هَرَبًا ولا مُسْتَسْلِمِ

لمَّا رَآنِي قَدْ نَزَلتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَىٰ نَواجِذَهُ لِغَيرِ تَبَسُّمِ

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ ... ليسَ الكَرِيمُ علىٰ القَنا بِمُحَرَّمِ

فتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ ... يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنانِهِ والمِعْصَمِ

وحَلِيلِ غَانِيةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا ... تَمكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ

هَلَّا سأَلْتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِكٍ ... إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمَا لَم تَعْلَمِي

ولقَدْ خَشَيْتُ بِأَنْ أَمُوتَ ولَم تَدُرْ ... للحَرْبِ دَائِرَةٌ علىٰ ابْنَي ضَمْضَمِ

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أَشْتُمْهُمَا ... والنَّاذِرَينِ إِذَا لَقِيتُهُما دَمِي

إِنْ يَفعَلاَ فَلَقَد تَرَكْتُ أَباهما ... جَزَرَ السِّباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

المختار من معلقة زُهَير بن أبي سُلمى المزني

زُهير بن أبي سُلمىٰ المزني، حكيم الشعراء في الجاهلية، تسمىٰ قصائده الحوليات، قيل: كان ينظم القصيدة في شهر، ويهذبها في سنة، توفي في الجاهلية قبيل البعثة النبوية أو في السنة الأولىٰ من البعثة قبل انتشار الإسلام، وقد أسلم ولداه كعب وبُجَير. قال عبد الملك بن مروان لقوم من الشعراء: أي بيت أمدح؟ فاتفقوا علىٰ بيت زهير:

تَرَاهُ إِذا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا ... كأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ

قال زهير بن أبي سُلمىٰ في معلقته:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَىٰ دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

الدِّمنة: ما اسوّد من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما، والجمع الدِّمَن، وحومانة الدُّرَّاج والمُتثلَّم موضعان، وأم أوفىٰ كنية امرأة، يعني: أمِن منازلِ أم أوفىٰ دِمنةٌ لا تجيب من يُناديها؟

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً ... فَلأيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

الحِجَّة: السنة، يقول: وقفت بدار أم أوفىٰ بعد مضي عشرين سنة من ترك أهلها ذلك المكان، ورفعهم خيامَهم ومتاعَهم الذي كان في ذلك المنزل، وعرفت مكان دارها بعد التوهم بمقاساة جهد ومعاناة مشقة، لبُعد العهد بها، واختفاء علاماتها.

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا ... أَلاَ انْعَمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

الرَّبع: المنزل، وكانت العرب تقول في تحيتها: انعَم صباحًا، أي: طاب عيشك في صباحك، من النعمة وهي طيب العيش، ويقولون أيضًا: عِم صباحًا، وقد أبدلنا الله خيرًا من هذه التحية، وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ ... لِيَخْفَىٰ وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ ... لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

أي: لا تكتموا الله ما في نفوسكم من الشر فيؤخر الله ذلك إلىٰ يوم الحساب فيحاسبكم عليه، أو يعجل لكم في الدنيا النِّقمة بسببه، وهذا البيت يدل علىٰ إيمان زُهير بن أبي سُلمىٰ بالبعث بعد الموت والحساب في الآخرة، مع أنه كان من أهل الجاهلية، فالظاهر أنه عرف ذلك من أهل الكتاب.

وَمَا الحَرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

الحديث الْمُرجَّم: الذي يُرجم فيه بالظنون، يقول: ليست الحرب إلا ما علمتم شرها وجربتم كراهتها، وما هذا الذي أقول عن الحرب بحديث مرجّمٍ يُحكم فيه بالظن.

مَتَىٰ تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

الضّرىٰ والضَّراوة: شدة الحرب، وضرَمَتِ النارُ تضرَم ضرمًا واضطرمت وتضرَّمت: التهبت، يقول: متىٰ تبعثوا الحرب تبعثوها مذمومة أي: تُذمُّون علىٰ إثارتها، ومتىٰ أثرتموها ثارت وهاجت.

سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمَانِينَ حَوْلًا لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

لا أبا لك: جملة اعتراضية، تقديرها: لا أبا لك موجود، ويراد بها التنبيه والإعلام لا الدعاء بفقد الأب، يقول: مللتُ مشاق الحياة وشدائدَها، ومن عاش ثمانين سنةً ملَّ الكِبَر لا محالة.

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ ... تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

المنية: الموت، والجمع: منايا، والخبط: الضرب باليدين والرجلين، والعشواء: الناقة التي لا تبصر ليلًا، فهي تخبط بيديها ورجليها كلَّ ما تمر عليه، وفي المَثل:

يخبط خبط عشواء، أي هو تائه في الضلالة كالناقة التي لا تبصر ليلًا، يقول: رأيت المنايا تصيب الناس بلا ترتيبٍ مثل الناقة العشواء التي تطأ علىٰ غير بصيرة، قال التبريزي: "وليس كما قال؛ لأن موت الناس يأتي بقضاء وقدر"، فمن أصابته المنايا مات، ومن أخطأته بلغ الهرم، وبعد الهرم لا بد من الموت.

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ ... عَلَىٰ قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

أي: من أحسن إلىٰ من لم يكن أهلًا للإحسان إليه، ذمَّه ولم يحمده، وندم المحسن الواضع إحسانه في غير موضعه، فلا تنفع الصنيعة إلا عند ذي الدين والمروءة، وقد قيل: اتق شر من أحسنت إليه، فاللئيم يفسده الإحسان، وصاحب المروءة لا ينسىٰ المعروف، ويحرص علىٰ المكافأة ولو بالدعاء والذكر الحسن، وعلىٰ كل حال من أحسن إلىٰ غيره لوجه الله لن يندم ولو كان إحسانه إلىٰ لئيم، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: 120].

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ ... يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

يذُد: يَدفع، قال الأصمعي في شرحه: "من ملأ حوضه، ثم لم يمنعِ الناس منه، أخذوا ماءه وهدموه"، وهو تمثيل؛ أي: من لان للناس ظلموه، والمعنىٰ: من لم يدفع الناس ويَطردَهم عما يجب عليه حفظه ورعايته يعتدوا علىٰ حقوقه، ومن لم يظلمِ الناس ظلموه، ومن لم يعتد عليهم اعتدوا عليه، والظلم من أخلاق الجاهلية، ومن أمثال العامة: من لم يكن ذئبًا أكلته الذّئاب، والصواب أن يكون الإنسان عزيزًا بلا كِبر، متواضعًا بلا ذِل، وأن لا يظلم الناس شيئًا، بل يكون محسنًا متسامحًا، صابرًا حكيمًا، قال الله معلِّمًا عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ۞

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: 39 - 42].

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ ... وَمَنْ لَم يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَم يُكَرَّمِ

يعني: من سافر واغترب يحسب الأعداءَ أصدقاء؛ لأنه لم يجربهم، فعلىٰ العاقل أن يحترس ممن لا يعرفهم بسوء الظن، ومن لم يُكرِم نفسه بتجنب الأخلاق السيئة لم يُكرمه الناس.

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مَنْ خَلِيقَةٍ ... وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَىٰ عَلَىٰ النَّاسِ تُعْلَمِ

يعني: ومهما كان في الإنسان خُلقٍ سيئٍ يظنه يخفىٰ علىٰ الناس لا بد أن يعلموه، فالأخلاق لا تخفىٰ.

وكائنْ تَرَىٰ مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

يعني: وكم صامتٍ يعجبك صمتُه وإنما تظهر زيادتُه علىٰ غيره ونقصانُه عن غيره عند تكلمه، وقد قيل: الجَمال في اللسان.

لِسَانُ الفَتَىٰ نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

سَأَلْنا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنا فَعُدْتُمُ ... وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْآلَ يَوْمًا سَيُحْرَمِ

يقول: سألناكم المعروف فجدتم به علينا، فعدنا إلىٰ سؤالكم وعدتم إلىٰ الإحسان إلينا، ومن أكثر سؤال الناس حُرِم يومًا لا محالة.

فهذه ثمانية عشر بيتًا من معلقة زهير بن أبي سُلمىٰ، هي من أحسن ما فيها:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَىٰ دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً ... فَلأْيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا ... أَلاَ انْعَمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ ... لِيَخْفَىٰ وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ ... لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

وَمَا الحَرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

مَتَىٰ تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمَانِينَ حَوْلًا لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ ... تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ ... عَلَىٰ قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ ... يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ ... وَمَنْ لَم يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَم يُكَرَّمِ

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مَنْ خَلِيقَةٍ ... وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَىٰ عَلَىٰ النَّاسِ تُعْلَمِ

وكائنْ تَرَىٰ مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الفَتَىٰ نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

سَأَلْنا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنا فَعُدْتُمُ ... وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْآلَ يَوْمًا سَيُحْرَمِ

المختار من معلقة لَبيد بن ربيعة العامري

كان فارسًا شجاعًا شاعرًا سخيًا، قال الشعر في الجاهلية دهرًا، ثم أسلم، ولقي النبيَّ عليه الصلاة والسلام، فهو من الصحابة رضي الله عنهم، ولما كتب عمر إلىٰ عامله بالكوفة: سل لَبيدًا ما أحدث من الشعر في الإسلام، قال لَبيد: أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران، ومن أحسن شعره قولُه:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ ... وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

وفي الصحيحين أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: ((أصدقُ كلمة قالها الشّاعرُ كلمةُ لَبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل)).

توفي لبيدٌ سنة 41 للهجرة، وكان من المعمَّرين: قيل: عُمِّر مئة وعشرين سنة، وقيل: مئة وثلاثين سنة، وقيل: أكثر من ذلك، والله أعلم.

قال لبيد بن ربيعة العامري في معلقته:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنىً تَأَبَّد غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

عفت: درَسَتْ وانمحىٰ آثارها، وتأبد: توحش، المحل: حيث يحل القوم من الدار، والمُقام: حيث يطول مُكثُهم فيه، ومنىٰ والغَول ورجام مواضع، وقيل: الغَول ورِجام جبلان، يقول: انمحت آثارُ منازلِ الأحبة، ما كان منها للحُلول المؤقت دون الإقامة، وما كان منها للإقامة الدائمة، وتوحشت تلك المنازلُ ولم يبق فيها أنيس، لارتحال أهلِها عنها.

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا ... أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

الحِمام: الموت، يقول مادحًا نفسه: أترك الأمكنة إذا رأيت فيها ما أكرهه لعزة نفسي، إلا أن يدركني الموت فيحبِسَني عن السفر.

فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ المَلِيْكُ فَإِنَّمَا ... قَسَمَ الخَلائِقَ بَيْنَنَا عَلاَّمُهَا

يعني: اقنع بما قسم الله تعالىٰ لك ولغيرك، وعليك بالرضا وترك الحسد، فإن قسَّام المعايش والأخلاق والطبائع علّامُها، وهو الله سبحانه الذي قسم لكل إنسان ما يشاء من الكمال والنقص، كما قال الله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: 32]، وفي صحيح مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان يقول في دعائه: ((وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ)).

فهذه ثلاثة أبيات من معلقة لبيد بن ربيعة، هي من أحسن ما فيها مما يقرب فهمه علىٰ المبتدئين:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنىً تَأَبَّد غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا ... أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ المَلِيْكُ فَإِنَّمَا ... قَسَمَ الخَلائِقَ بَيْنَنَا عَلاَّمُهَا

المختار من معلقة الحارث بن حِلِّزة

الحارث بن حِلِّزة اليشكري، شاعر جاهلي من أهل بادية العراق، يقال: إنه ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند ملك الحيرة، وشعره قليل جدًّا، وسأكتفي بذكر بيتين فقط من معلقته.

قال الحارث بن حِلِّزَة اليشكري في معلقته:

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمّا ... أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوضَاءُ

مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصْـ ... ـهَالِ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءُ

أجمعوا أمرهم: أحكموه، يعني: أطبق رأي أعدائنا بليل علىٰ قتالنا وجدالنا، فلما أصبح الصباح صارت لهم ضجة وصُراخ، اختلطت أصوات الداعين والمجيبين والخيل والإبل.

المختار من معلقة عمرو بن كلثوم

عمرو بن كلثوم التَّغْلِبي، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولىٰ، كان من أعز الناس نفسًا، وهو من الفتاك الشجعان، ساد قومَه تغلِب وعمره خمسة عشر عامًا، وعُمِّر طويلًا، ومن أخباره أنه قتل عمرو بن هند اللخمي ملِك الحِيرة، ومعلقته المشهورة تعتبر من أجود القصائد العربية، وفيها من الفخر والحماسة العجب، وهي خير مثال لقول الله سبحانه عن الشعراء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 225، 226].

قال عمرو بن كلثوم التغلِبي في معلقته:

أَبَا هِنْدٍ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِيْنَا

أبو هند: هي كنية الملِك عمرو بن هند، يعني: لا تعجل علينا – أيها الملك – وأمهلنا نخبرك باليقين من عزنا وشرفنا.

بِأَنَّا نُوْرِدُ الرَّايَاتِ بِيْضًا ... وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رُوِيْنَا

أي: نخبرك باليقين من أمرنا بأنا نورد أعلامنا الحروب ولونها أبيض، ونُرجعها ولونها أحمر قد رويت من دماء الأعداء.

مَتَىٰ نَنْقُلْ إِلَىٰ قَوْمٍ رَحَانَا ... يَكُوْنُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِيْنَا

أراد بالرحىٰ: رحىٰ الحرب، وهي معظمها، يقول: متىٰ حاربنا قومًا قتلناهم، وهذه استعارة بليغة.

كَأَنّ سُيُوفَنا مِنَّا ومِنْهُمْ ... مَخَارِيقٌ بأيْدِي لاعِبِينَا

المِخراق: ثوبٌ يُلَف ويُضرب به، يصف حربهم مع الأعداء بأنهم في المعركة يتبارزون ويضربون بالسيوف ويطعنون بها في سرعة كما يُضرب بالمخاريق في سرعة.

أَلاَ لاَ يَعْلَمُ الأَقْوَامُ أَنَّا ... تَضَعْضَعْنَا وَأَنَّا قَدْ وَنِيْنَا

يعني: لا يظن أعداؤنا أننا ضَعُفنا وانكسرنا في الحرب، ولا يظنوا أننا فترنا، فنحن لا نزال أقوياء أشداء.

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا

أي: لا يسفهن أحدٌ علينا فنسفه عليهم فوق سفههم، وهذا من أخلاق الجاهلية، وقد علَّمنا الله بقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، وقال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63].

وَنَحْنُ الحَاكِمُوْنَ إِذَا أُطِعْنَا ... وَنَحْنُ العَازِمُوْنَ إِذَا عُصِيْنَا

أي: ونحن الذين نحكم الناس ونأمرهم بما نريد إذا أطاعونا، ونحن ننفذ عزيمتنا فيما أردنا إذا عصانا قوم.

وَنَحْنُ التَّارِكُوْنَ لِمَا سَخِطْنَا ... وَنَحْنُ الآخِذُوْنَ لِمَا رَضِيْنَا

أي: إذا كرهنا شيئًا تركناه، ولم يستطع أحدٌ إجبارنا عليه، وإذا رضينا شيئًا أخذناه غصبًا، ولم يحُل بيننا وبينه أحدٌ لعزتنا.

وَأَنَّا المَانِعُوْنَ لِمَا أَرَدْنَا ... وَأَنَّا النَّازِلُوْنَ بِحَيْثُ شِيْنَا

أي: وأنا نمنع الناس ما أردنا منعهم إياه، ولو كان مِلْكًا لهم، وننزل حيث شئنا من بلاد العرب ولو كانت غير أرضنا، وهذا الظلم من أخلاق أهل الجاهلية، وقد حرَّم الإسلام الظلم، وأمر بالإنصاف، وإعطاء كل ذي حق حقه، ولو كان ضعيفًا.

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْوًا ... وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِيْنَا

أي: ونأخذ من كل شيء أفضله، وندع لغيرنا أرذله، فإذا وردنا ماء بئر مثلًا نشرب الماء صفوًا، ونسقي إبلنا أولًا، ثم نسمح لغيرنا بالشرب بعدنا.

كَأَنَّا وَالسُّيُوْفُ مُسَلَّلاَتٌ ... وَلَدْنَا النَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِيْنَا

مسلَّلات: خارجة من أغمادها، طُرا: جميعًا، يعني: كأنا في وقت استلال السيوف من أغمادها ولدنا الناسَ جميعًا، فهم يحتمون بنا، ونحميهم حماية الوالد لولده.

مَلأْنَا البَرَّ حَتَّىٰ ضَاقَ عَنَّا ... وَظَهرَ البَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفِيْنَا

إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ ... تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِيْنَا

يفتخر الشاعر بقومه بأنهم ملأوا ظهر الأرض خيلًا وجنودًا حتىٰ ضاقت عليهم الأرض، وملأوا سطح البحر سفنًا، وأن الجبابرة يسجدون لأطفال قومه إذا بلغوا الفطام، وهذا من أكذب الشعر، وقد قال بعضهم: أعذبُ الشعرِ أكذبُه! ولا شك أنَّ خير الشعر أصدقُه، وما كان فيه حكمة، كما قال الشاعر:

وإنَّ أحسن بيتٍ أنت قائلُه ... بيتٌ يُقال إذا أنشدته صدَقَا

فهذه ثلاثة عشر بيتًا من معلقة عمرو بن كلثوم، هي من أحسن ما فيها:

أَبَا هِنْدٍ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِيْنَا

بِأَنَّا نُوْرِدُ الرَّايَاتِ بِيْضًا ... وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رُوِيْنَا

مَتَىٰ نَنْقُلْ إِلَىٰ قَوْمٍ رَحَانَا ... يَكُوْنُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِيْنَا

كَأَنَّ سُيُوفَنا مِنَّا ومِنْهُمْ ... مَخَارِيقٌ بأَيْدِي لاعِبينَا

أَلاَ لاَ يَعْلَمُ الأَقْوَامُ أَنَّا ... تَضَعْضَعْنَا وَأَنَّا قَدْ وَنِيْنَا

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا

وَنَحْنُ الحَاكِمُوْنَ إِذَا أُطِعْنَا ... وَنَحْنُ العَازِمُوْنَ إِذَا عُصِيْنَا

وَنَحْنُ التَّارِكُوْنَ لِمَا سَخِطْنَا ... وَنَحْنُ الآخِذُوْنَ لِمَا رَضِيْنَا

وَأَنَّا المَانِعُوْنَ لِمَا أَرَدْنَا ... وَأَنَّا النَّازِلُوْنَ بِحَيْثُ شِيْنَا

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْوًا ... وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِيْنَا

كَأَنَّا وَالسُّيُوْفُ مُسَلَّلاَتٌ ... وَلَدْنَا النَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِيْنَا

مَلأْنَا البَرَّ حَتَّىٰ ضَاقَ عَنَّا ... وَظَهرَ البَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفِيْنَا

إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ ... تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِيْنَا

الخاتمة

هذا ما يسر الله اختياره من المعلقات السبع، مع شرح مختصر مفيد للطلاب والمبتدئين في تعلم الشعر العربي، وإن في تعلم شعر العرب وسماعه وحفظه فوائد كثيرة، كتعلم مكارم الأخلاق، والاستفادة مما فيها من الحِكَم، ومعرفة أساليب العرب في كلامها الذي نزل القرآن العظيم بلغتها، ومعرفة شواهد تفسير الكلمات القرآنية من كلام العرب، والترفيه عن النفس أحيانًا، فمن الحكمة أن تكون للإنسان ساعة لدنياه، وساعة لآخرته، فمن الحكمة إجمام النفوس في بعض الأوقات، وإنعاش الروح ببعض المباحات، فإن النفس إذا ملَّت تنشط بالمسليات، وفي صحيح مسلم من حديث الشَّريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه قال: ردِفتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا فقال: ((هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ؟))، قلت: نعم، فأنشدته مئة بيت.

المحتويات

المقدمة 3

المختار من معلقة امرؤ القيس بن حجر 4

المختار من معلقة طَرَفة بن العبد 8

المختار من معلقة عنترة بن شداد 11

المختار من معلقة زُهَير بن أبي سُلمى المزني 16

المختار من معلقة لَبيد بن ربيعة العامري 21

المختار من معلقة الحارث بن حِلِّزة 23

المختار من معلقة عمرو بن كلثوم 24

الخاتمة 28

المحتويات 29